النظري أربع لأنه إما كمال أو استعداد نحو الكمال قوي أو متوسط أو ضعيف فالضعيف
وهو محض قابلية النفس لكل إدراكات يسمى عقلاً هيولانياً تشبيهاً بالهيولى الأولى الخالية في
نفسها عن جميع الصور القابلة لها لأنه يشبه قوة الطفل للكتابة والمتوسط وهو استعدادها
لتحصيل النظريات بعد حصول الضروريات يسمى عقلاً بالملكة لما حصل لها من ملكة الانتقال
إلى النظريات بمنزلة الأمي المستعد لتعلم الكتابة وتختلف مراتب الناس في ذلك اختلافاً
عظيماً بحسب اختلاف درجات الاستعدادات والقوي وهو الاقتدار على استحضار
النظريات متى شاءت من غير افتقار إلى كسب جديد لكونها مكتسبة مخزونة تحضر بمجرد الالتفات
بمنزلة القادر على الكتابة حين لا يكتب وله أن يكتب متى شاء يسمى عقلاً بالفعل لشدة قربه من
الفعل وأما الكمال فهو أن تحصل النظريات مشاهدة بمنزلة الكاتب حين يكتب ويسمى عقلاً
مستفاداً إلا من خارج هو العقل الفعال الذي يخرج نفوسنا من القوة إلى الفعل فيما لها من
الكمالات ونسبته إلينا نسبة الشمس إلى أبصارنا وتختلف عبارات القوم في أن المذكورات
أسام لتلك الاستعدادات والكمال أو للنفس باعتبار اتصافها بها أو لقوى في النفس
هي مبادئ بها فيقال تارة أن العقل الهيولاني هو استعداد النفس لقبول العلوم الضرورية
وتارة أنه قوة استعدادية أو قوة من شأنها الاستعداد المحض وتارة أنه النفس في مبدأ
الفطرة من حيث قابليتها للعلوم وكذا في البواقي وربما يقال العقل بالملكة هو حصول
الضروريات من حيث تتأدى إلى النظريات وقال ابن سينا هو صورة المعقولات الأول
يتهيأ القوة بها لكسب غيرها بمنزلة الضوء للأبصار والمستفاد هو المعقولات المكتسبة
عند حصولها بالفعل وقال في كتاب المبدأ والمعاد إن العقل بالفعل والعقل المستفاد واحد
بالذات مختلف بالاعتبار فإنه من جهة تحصيله للنظريات عقل بالفعل ومن جهة حصولها
له بالفعل عقل مستفاد وربما قيل هو عقل بالفعل بقياسه إلى ذاته ومستفاد
بالقياس إلى فاعله واختلفوا أيضاً في أن المعتبر في المستفاد هو حضور النظريات
الممكنة للنفس بحيث لا تغيب أصلاً حتى قالوا إنه آخر المراتب البشرية وأول المنازل
الملكية وإنه يمتنع أو يستبعد جداً ما دامت النفس متعلقة بالبدن أو مجرد الحضور
حتى يكون قبل العقل بالفعل بحسب الوجود على ما صرح به الإمام وإن كان بحسب الشرف
هو الغاية والرئيس المطلق الذي تخدمه سائر القوى من الإنسانية والحيوانية والنباتية

ولا يخفى أن هذا أشبه بما اتفقوا عليه من حصر المراتب في الأربع ثم حضور الكل بحيث لا يغيب أصلاً
هو كمال مرتبة المستفاد وذكر الإمام في بيان المراتب أن النفس إن خلت عن العلوم مع أنها
قابلة لها سميت في تلك الحال عقلاً هيولانياً وإن حصلت الضروريات فقط سميت عقلاً بالملكة وإن
حصلت النظريات أيضاً فإن لم تكن حاصلة بالفعل بل بالقوة إلا أنها تستحضرها بمجرد التوجه سميت النفس
عقلاً بالفعل وإن كانت حاضرة سميت النفس عقلاً مستفاداً فها هنا أربع أحوال حالة الخلو وحالة
حصول الضروريات وحالة حصول النظريات بدون الحضور وحالة حصولها مع الحضور والمراتب
هي النفس باعتبارها وهو موافق لما قال ابن سينا إن النفس يكون عقلاً بالملكة ثم عقلاً بالفعل
ثم عقلاً مستفاداً والمعنى أن حالها مستفادة وأما ما ذكر في المواقف من أن العقل بالفعل
هو ملكة استنباط النظريات من الضروريات أي صيرورة العقل بحيث متى شاء استحضر الضروريات
واستنتج منها النظريات فلم نجد في كلام القوم [illegible] وأما العملي فهو قوة بها يتمكن
الإنسان من استنباط الصناعات والتصرفات في موضوعاتها التي هي بمنزلة المواد كالخشب
للنجار وتمييز مصالحه التي يجب الإتيان بها من المفاسد التي يجب الاجتناب عنها لينتظم بذلك أمر
معاشه ومعاده وبالجملة هي مبدأ حركة بدن الإنسان إلى الأفاعيل الجزئية الخاصة بالروية على مقتضى
آراء تخصها اصطلاحية ولها نسبة إلى القوة النزوعية ومنها يتولد الضحك والخجل والبكاء ونحوها ونسبة
إلى الحواس الباطنة وهي استعمالها في استخراج أمور مصلحية وصناعات وغيرها ونسبة إلى القوة
النظرية وهي أن أفعالها تنبعث عن آراء جزئية تستند إلى آراء كلية تستنبط
من مقدمات أولية أو تجربية أو ذائعة أو ظنية تحكم بها القوة النظرية مثلاً يستنبط من قولنا بذل الدرهم
جميل وفعل الجميل ينبغي أن يصدر عنا أن بذل الدرهم ينبغي أن يصدر عنا ثم علم بأن هذا الدرهم ينبغي
أن أبذله لهذا المستحق فينبعث من ذلك شوق وإرادة إلى بذله فتقدم القوة المحركة على دفعه إلى
المستحق قوله وتنقسم على النظرية يعني أن كمال القوة النظرية معرفة أعيان الموجودات
وأحوالها وأحكامها كما هي أي على الوجه الذي هي عليه في نفس الأمر بقدر الطاقة البشرية وتسمى حكمة
نظرية وكمال القوة العملية القيام بالأمور على ما ينبغي أي على الوجه الذي يرتضيه العقل الصحيح
بقدر الطاقة البشرية وتسمى حكمة عملية وفسروا الحكمة على ما يشمل القسمين بأنها خروج النفس من القوة
إلى الفعل في كمالها الممكن علماً وعملاً إلا أنه لما كثر الخلاف وفشا الباطل والفضول في شأن الكمال
وأن تكون الأشياء كما هي والأمور على ما ينبغي لزم الاقتصار في ذلك على ما ثبت بالمعجزات الباهرة انتهى